رحلة الحاج لجون بنيان

بقلم : السيدة / صوفى عبد الله

١ ـ حياته :

تستغرق حياة جون بنيان فترة من أشد فترات تاريخ انجلترا حفولا بالأحداث الجسام والعواصف الجائحة والتغيرات الحاسمة . فقد ولد فى سنة ١٦٢٨ وهى السنة التى صدر فيها المرسوم المسمى بوثيقة التماس الحقوق . وبمقتضى هذا المرسوم أبيح لأول مرة لرعايا التاج البريطانى أن يلتمسوا حقوقهم القانونية فى مواجهة حكومة ذلك التاج . ففى وسع صاحب الحق أن يتقدم الى وزير الداخلية بالتماسه ، فيحول الوزير الالتماس الى النائب العام ، وفى حدود أمور معينة كلها تتعلق بالأموال أما قبل هذه الوثيقة فكان من المستحيل نظريا أن يطالب أحد الرعايا ملكه بحق له مغصوب أو ممتلكات له وقع عليها جور ، لأن المحاكم فى نظر فقه تلك الأيام انما هى محاكم الملك فليس فى وسعها أن تقتص منه لترد الحقوق الى أصحابها . وجاءت وثيقة التماس الحقوق لتفتح للمواطنين هذا الباب. فكان على ضيقه خطوة حاسمة فى طريق تأصيل حقوق الشعب ووضع حدود حاسمة لسلطة الملك .

وكانت وفاة جون بنيان فى أغسطس سنة ١٦٨٨ ، أى فى عشية تلك الثورة الانجليزية الكبرى التى ختمت حكم أسرة ستيوارت .

وفيما بين هذين التاريخين وقعت الحروب الطاحنة بين البرلمان والملك ، وقام حكم الجمهورية القصير المعروف باسم رخاء الأمة ، ثم عادت الملكية وتفشى الطاعون . وشب حريق لندن الكبير ، ونشبت الحرب الهولندية ، وعقدت معاهدة دوفر ، وجرت المحاكمات الدرامية ولا سيما محاكمة الأساقفة السبعة .

تاريخ عاصف حقا يتمثل أواره المحتدم فى حياة ذلك الكاتب . فأسرة بنيان كانت قد استقرت منذ زمن طويل فى ناحية بدفورد . وسلف لهذه الأسرة فى ذلك الجوار اعتبار اجتماعى مرموق . فقد كانوا من المزارعين ذوى الأملاك ، ثم أناخت عليهم صروف الزمن فأملقوا بعد يسار ، حتى اذا حل شهر نوفمبر من سنة ١٦٢٨ وولد جون بنيان سجل

فى دفتر المواليد انه ابن توماس بنيان النحاس المتجول الذى يصلح للريفيين فى الدساكر والنجوع أوانيهم المعدنية . وكان حتما بمقتضى القوانين الاجتماعية لذلك الزمن ان ينشأ جون سمكريا متجولا كأبيه .

وكان طبيعيا ألا يظفر جون من التعليم الا بأقل القليل من الأوليات ، هى القشور الأولى للقراءة والكتابة . ولكن الذى تميز به صباه على الخصوص لم يكن تمرسه بصنعة أبيه ولا المامه الضئيل بصفحات الأوراق ، بل تلك النوبات الحادة من الانقباض وثبوط الهمة . ومرجع ذلك الى احساس عميق بالاثم ، أو على حد تعبيره الخاص شعوره بجسامة خطيئته ، فقد كانت تعتصره موجات صراع داخلى كان يراها معتركا بين قوى الخير وقوى الشر ، أو بين الله والشيطان .

ومما ضاعف شعوره بالذنب واحساسه بالضياع وعدم الاستقرار وفاة والدته ــ وكانت ثانى زوجات والده ــ فى سنة ١٦٤٤ وهو فى السادسة عشرة من عمره ، واقدام والده على الزواج مرة ثالثة عقب ذلك مباشرة ، فكانت الصدمة لشعور جون اليافع مضاعفة .

ولعل هذا يفسر لنا انه فى ختام تلك السنة (سنة ١٦٤٤) وقد أتم عامه السادس عشر تطوع للانخراط فى جيش البرلمان الذى يحارب الملك واشترك فى المعارك الختامية للحرب الأهلية الأولى من غير ان يندمج فى خط النار كثيرا . ويبدو ان حياة الجيش بما فيها من انطلاق واثارة وحماسة هيأت له احساسا قصير الأمد بالسعادة .

ونقول قصير الأمد لأن ذلك الاحساس لم يدم الا نيفا وعامين . ففى سنة ١٦٤٧ تم تسريحه من جيش البرلمان فعاد الى مسقط رأسه ليشتغل باصلاح الأوانى مرة أخرى . وفى نحو تلك المدة تزوج من فتاة كانت على حد تعبيره تباريه فى الفاقة ! فلم تكن بائنتها سوى كتابين من كتب الدين عتيقين ولكن هذه البائنة أحدثت فى حياة جون من الأثر مالا تحدثه الثروات الطائلة . فهذان الكتابان كان لهما نصيب ضخم فى اذكاء تعلقه بأمور الدين .

وبدأ بتأثير زوجته المتدينة يتردد على الكنيسة بانتظام . بيد أن ذلك لم يحل أزمة صراعه الداخلى بل زادها احتداما ، فصار دائم الاشتغال بمشكلة الشر وباحساسه الخاص بالاثم حتى لقد أوشك ان يتردى لذلك السبب فى هاوية الانهيار العقلى والبدنى ، لولا ان وجد الطريق الى « النعمة » وكان الفضل الكبير فى ذلك لتعليق مارتن لوثر على الرسالة الى أهل غلاطية .يضاف الى ذلك تأثير جون جيفورد الذى أسس فى سنة ١٦٥٠ كنيسة حرة فى بدفورد ، فقد انخرط جون بنيان فى مجمع اتباع جيفورد فى سنة ١٦٥٣ . فكانت هذه السنة بداية تحوله الحاسم واعظا متجولا من وعاظ كنيسة المنشقين على الكنيسة الانجليزية الرسمية . وانتقل من قريته الى مدينة بدفورد مع زوجته واطفاله الصغار الثلاثة ومن بينهم ابنته مارى التى ولدت عمياء . وفى سنة ١٦٥٩ ماتت زوجته ولم يلبث جون بنيان بعدها طويلا حتى تزوج مرة أخرى . وكان الاحساس المسيطر عليه منذ تحوله الدينى بوحى من عقيدة كالفن التى تنادى بأن البشر جميعا ميسرون سلفا اما للخلاص والنجاة واما للهلاك الأبدى. فكان انضمامه لكنيسة المنشقين هو طريق النجاة الذى آمن به فوقف نفسه على هداية الناس اليه .

وشاءت الأقدار ان تمتحن ايمانه الجديد امتحانا عسيرا . ففى شهر نوفمبر سنة ١٦٦٠ ــ أى

بعد عودة شارل الثانى الى العرش بشهور قليلة قبض عليه وهو يعظ ويبشر الفلاحين وسط الحقول وفى شهر يناير سنة ١٦٦١ قدم الى المحاكمة أمام هيئة من القضاة الملكيين بتهمة الامتناع الآثم عن حضور القداس وعقد اجتماعات غير مشروعة . وأبى جون بنيان أن يقدم تعهدا بعدم التبشير فحكمت عليه المحكمة بالسجن ثلاثة أشهر فقط ، بيد أن السلطات الحكومية استبقته فى السجن ست سنوات .

ولما أطلق سراحه فى سنة ١٦٦٦ عاد للتبشير فى الحقول فقبض عليه مرة أخرى وسجن ست سنوات تمت بها فترة اعتقاله اثنى عشر عاما .

ويصدق القول فى سجن جون بنيان الطويل ان الله قد ينعم بالبلوى وان عظمت ، فقد عكف على الكتابة والتأمل . ومما يجدر بالذكر انصافا لسجون ذلك العهد أن الحرية لا تقيد الا فى أضيق الحدود ، فللسجين ان يستقبل فى سجنه أسرته وأصدقاءه ، وله أن يعظهم ويقودهم فى الصلاة والتعبد ، وان يمارس حرفته ليعول منها أفراد أسرته ومن يعولهم ، وقد أحسن جون بنيان الاستفادة من هذه الرخص كلها فكتب نبذا كثيرة وكتبا مطولة أهمها فى الفترة الأولى من ذلك السجن سجل سيرته الذاتية المعروف باسم « النعمة الغامرة » وقد قام على نشره كتبى فى لندن فى سنة ١٦٦٦ . أما فى الفترة الثانية من سجنه فشرع فى رائعته الخالدة « رحلة الحاج » بأسلوبها الفريد .

وفى شهر يناير سنة ١٦٧٢ ، وهو لم يزل نزيل السجن ، تم انتخابه باجماع رأى شعب كنيسة بدفورد راعيا لهذه الكنيسة . وبعد ذلك بأسابيع أطلق سراحه بناء على تطبيق مرسوم التسامح الذى صدر فى ذلك الحين ، ومنحته الحكومة رخصة الوعظ والتبشير . فأقام جون بنيان فى مخزن ببستان فى بدفورد كنيسته المتقشفة ، وجعل من ذلك المخزن مركز اشعاع لنشاطه الجم الذى استمر الأعوام الستة عشرة الباقية من عمره . وقد استفاض صيته وأثره فى الوعظ حتى تجاوز حدود الاقليم الى الأقاليم المجاورة . بل وصل الى لندن نفسها . أما تأثيره كاتبا دينيا فكتب له أن يتجاوز حدود الأقطار والأجيال .

وليس أدل على شيوع ذكره من تلقيبه باسم الأسقف بنيان ، مع أنه لم يكن الا راعيا بسيطا زاهدا . بيد أن اعجاب رعاياه البسطاء أضفى عليه فى تجواله الذى لايستقر وحماسته التى لا تفتر ذلك اللقب الفخم على سبيل الاعجاب والاعزاز والتوقير .

ولم يطل الأمد برخصة الوعظ والتبشير التى منحت للمنشقين على الكنيسة الرسمية الا ثلاث سنوات ، ففى سنة ١٦٧٥ ألغيت هذه الرخص ، وعلى أثر ذلك سجن جون بنيان ستة أشهر أخرى فى سجن بدفورد على رأس الجسر فوق النهر . وهناك أتم كتابة الجزء الأول من كتابه رحلة الحاج. وكان فراغه منه فى سنة ١٦٧٧ ثم نشر فى العام التالى ، وطبع مرتين فى العامين التاليين .

وبعد اطلاق سراحه نعم جون بنيان بفترة هدوء نسبى عكف فيها على الوعظ والتأليف . وفى شهر أغسطس سنة ١٦٨٨ زار لندن زيارته الأخيرة . وكان قد أتم الجزء الثانى من رحلة الحاج قبل ذلك بأربع سنوات ، وكتب بعد ذلك مؤلفا بعنوان « القربان المقبول » حمل مخطوطه معه الى الناشر

فى العاصمة . وفى مسيره أغرقه المطر وأصيب بحمى لم يكتب له الشفاء منها . وكانت وفاته فى اليوم الأخير من شهر أغسطس فى بيت صديقه جون ستروودويك بلندن ، ودفن فى حقول بانهل ، وهى المثوى الذى أعد فى لندن لمواراة المنشقين على الكنيسة الرسمية فى ذلك الحين .

وهكذا انتهت حياة مؤلف رحلة الحاج الذى تجاوز صداه جميع الحدود القومية والطائفية والدينية فى مدى ثلاثمائة سنة لم يستطع فيها كتاب آخر ان يجليه عن مكانه الفريد فى آداب الدين المسيحى .

٢ ــ أدبه :

والناظر فى حياة جون بنيان وأدبه يدرك لأول وهلة انه مامن كاتب نابغ مرت به نشأة هزيلة فكريا وثقافيا كنشأته . فما أبعد البون بينه وبين من عرفوا الدراسة فى الجامعات . أو من كانت فى متناول أيديهم الألوف من صنوف الكتب . أو المئات منها أو العشرات . فصاحبنا جون بنيان يدين بصياغة فكره لكتاب واحد دون سواه تقريبا . وهذا الكتاب هو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . وما وهبته الطبيعة اياه من قوة التخيل الوثاب انما أذكته آيات ذلك الكتاب ، فراح يعيش هذه الآيات على جناح خياله بقوة حماسته وحرارة ايمانه . ولم يكن جون بنيان يصغى لمعلم غير أصواته الداخلية الخفية وحين امتشق قلمه ليكتب لم يتصدر الا لسرد قصة حياته النفسية الداخلية مع تلك الأصوات وما دار فى حناياه وطواياه من ألوان الصراع الباطنى .

واذا عرفنا ذلك عن مصادر ثقافته ومبلغ ماتتصف به من الشيوع والذيوع فى مجتمع ريفى من أهل التدين فأحرى بنا أن نرى عبقريته الأدبية بغير حاجة الى تعليل أو تفسير مما جرت به العادة عند الحديث عن الأصول الأدبية والتأثرات الثقافية لكاتب من الكتاب .

ان صناعة جون بنيان ليست بحاجة الى من يبحث عن أسرارها ، لأنها صناعة من السذاجة والتلقائية بحيث تخلو من الغوامض والأسرار . وخير مايوصف به أدب جون بنيان فى جملته أنه الكتاب المقدس كما يتصوره الرجل العامى بعد تجريد ذلك الكتاب من كل مايراه الضمير التطهرى « البيوريتانى » غير منصل اتصالا مباشرا بتعاليم الخلاص . وتصور الرجل العامى لابد أن يتخذ دائما زيا ملموسا محسوسا . ولذا نجد كل كتاب من كتب جون بنيان قصة تجربة روحية تكاد تنطوى فيها حياة كل روح مؤمنة تتعرض للاختيار الحاسم المحتوم بين ارادة الله وغواية الشيطان .

وأشهر نماذج كتاباته الى جانب رحلة الحاج سيرته الذاتية المعروفة باسم « النعمة الغامرة » ويتخذ فى هذا الكتاب وصف طريق الهداية بأسلوب مباشر للغاية هو أسلوب الاعترافات الشخصية . ويمكن أن يقال انه مامن سيرة ذاتية تنطوى على مضمون أشد من مضمون هذا الكتاب حفولا بالملاحظة النفسية الدقيقة . وقد استعان جون بنيان بقوة بصيرته الباطنية النفاذة وموهبته فى تجسيم ألوان الصراع التى تطمسها فى العادة عتمة مادون الشعور تجسيما دراميا فى سرد تجربته الخاصة فوصف بقوة لامثيل لها تلك المراحل التى مر بها رجل ميسر للايمان والخلاص مبتدئا من أسر الاثم والخطيئة ، مارا بغيابة اليأس ثم بمزالق الغواية ، خائضا ألوانا من الصراع والقتال ، ثم منتهيا آخر الأمر الى السلام وطمأنينة النفس ونعمة الله الغامرة . وقد استطاع جون بنيان أن يجسم بخياله الخصب فى صورة واقعية أخاذة شخصيات قصته

الصوفية. ولكن مما يجدر بالذكر أن ملكة البصيرة فى مثل هذه الأمور لا يمكن أن تتميز من تهاويل الهاوسة . بيد أن الاحساس بالاخلاص العميق والصدق النفسى والفنى ينبع على الدوام من هذه الصفحات التى تصور تجربة دينية فردية فذة فى جرأة لا نظير لها .

أما فى كتابه « حياة ووفاة مستر بادمان » أو بمعنى آخر حياة ووفاة شرير نجد جون بنيان يعلم الناس بالمثل المضروب ويتخذ أسلوب التراجيديا فى الباس المثل المضروب ثوب القارعة .

ولكن قمة أعماله بغير مراء كتابه رحلة الحاج وهو سرد مغامرات مسيحى مؤمن الى المدينة الأبدية . ولهجة هذا الكتاب أهدأ من لهجة الكتب الأخرى ، كأنما عند ذروة النضج قد صفت نار موهبته من أوار الحماسة الملتهبة ودخانها . ومع هذا الهدوء نجد هنا وهناك منادح للتأمل فى غير توتر عصبى ، ولحظات تطيف فيها ابتسامة الفكاهة بالسطور ، فاذا بالتصورات الدرامية للتجربة الباطنة تصل الى مستويات أسمى فنيا وأقيم فكريا من كل كتبه الأخرى . واستخدامه للرموز شفاف مباشر لا التواء فيه فلا يجد القارىء عسرا فى تتبع خطوات أبطال القصة وهم يخوضون صروف الرحلة وأهوالها فى طريقهم الى موئل أحلامهم ومطمح قلوبهم . ومن خلال هذه الرمزية الصافية الساذجة وذلك الوصف المخلص الصادق لأحوال النفس نستطيع أن ندرك سر سيطرة هذا الكتاب على ملايين من القراء من أوساط الناس خاصة ، فهم يرون فى ذلك التصوير المجسم ببراعة مصداق ما يعانونه فى حياتهم الروحية الخاصة من غوايات الجسد والعقل ، وما يتعرضون له من مزالق ومخاطر ، وما يتطلعون اليه من مدد علوى يأخذ بناصرهم ويمسح عنهم القلق على مصير أرواحهم وهى تصبو رغم كل هذه الأهوال والمكاره والغوايات والمتاهات الى نعمة الخلاص ، تلك النعمة التى لا يصل اليها الا نفر قليل من المختارين الذين يصطفيهم رب غيور من بين الكثرة التى تتردى فى مهاوى الخطيئة .

وقد وفق جون بنيان الى تصوير ذلك الفيض من الايمان الذى يحس ويرى ببصيرته الداخلية. بيد أن هذا التوفيق مهما بلغ من روعته انما يصور على كل حال ألوانا من الأماثيل والمجازات التى لا تتميز بالسمات الشخصية . وأقصى ما وصل اليه جون بنيان بفصاحة موضوعيته انه أفلح فى أن يكون اللسان الناطق لضمير شعب متدين .فهو بمثابة وسيط روحى لضمير جمعى غير فردى فى أعمق أعماقه . ومزية هذا الوسيط أنه شفاف جيد التوصيل والتكثيف لهذا الروح الجمعى . وبالغا ما بلغت عظمة الوسيط لا ينبغى أن نخلط بينه وبين الفنان الخلاق .

وفيما خلا هذا التمييز الذى ينبغى أن يكون دقيقا وحاسما بين الوسيط الروحى الصوفى وبين الفنان الخلاق المبدع نجد لجون بنيان خصائصه الفنية فى الكتابة ، فلديه موهبة طبيعية لا مراء فيها ألا وهى موهبة الاحساس والتصور بدقة بالغة. وهو يعرف كيف يعبر عما يدركه ويتصوره ، ويعرف كيف يروى القصة وكيف يربط بين أحداثها فى قالب درامى . وأسلوبه طلى حافل بعصارة الحياة المستطابة النكهة ، وفيه فضلا عن هذا سهولة ويسر وشفافية وقدرة على الصياغة السليمة لا يتوقعها المرء فى من كان مثله قليل الحظ من الثقافة .

بيد أن قدرة التصور البالغة لديه مصدرها ولاشك مايرد على خاطر المؤمن العميق الايمان من اثارة نفسية عن طريق ايمانه المتوهج .وبراعته الدرامية نتيجة مباشرة لاستيلاء البصيرة الروحية والشطحات الصوفية على تفكيره . وما فى لغته من مزايا ان هى الا أثر قوى مباشر لأسلوب الكتاب المقدس فى ترجمته الانجليزية الشائعة التى ترجع الى سنة ١٦١١ . ولتشبع جون بنيان بهذه اللغة أعظم الفضل فى انبثاق قلمه بذلك الأسلوب النبيل المتألق .

وقصارى القول ان جون بنيان قد ارتفع على جناح ايمانه الى المستوى الرفيع فى عالم الأدب الذى تفرد به من قبله أساطين مترجمى الكتاب المقدس ، وهو شبه الأمى . فكانت معجزته الأدبية نموذجا حيا لما قام يبشر به من معجزات الايمان .

٣ ـ رحلة الحاج :

بصيغة المتكلم يسوق جون بنيان قصته رحلة الحاج على لسان بطلها الذى سماه «كريستيان» ، وهى تسمية رمزية شفافة مباشرة، لأن معناها «المسيحى» . وسنجد أسماء أبطاله الآخرين من هذا الطراز . فكل اسم له مدلول من الصفات المعروفة بحيث يمثل ذلك النمط من الفضائل أو الرذائل . ونوجز الكلام على لسان المتكلم كما جاء فى القصة كى نحتفظ بطابعه الأصلى :

فيما أنا سائر وسط برية هذا العالم حططت رحالى فى مكان به كهف واستلقيت لأنام . ورأيت فى منامى حلما . رأيت رجلا عليه أسمال واقفا وظهره الى داره وفى يده كتاب وفوق كاهله حمل ثقيل وسمعته يستحث زوجته وأولاده على الهرب معه لأنه وصل الى علمه أن المدينة ستصب عليها النار من السماء فتحرقها . بيد أن أقاربه وأصحابه ظنوا بعقله الظنون وراحوا يهدئون ثورته . وعبثا ما فعلوا ، لأنه راح يتلفت فى كل ناحية ويصيح «ماذا عساى أفعل كى أنجو ؟» وكان واضحا أنه لايدرى أى طريق يسلك . وأقبل نحوه رجل يدعى الانجيلى ، فسأله المسيحى الى أى جهة يفر ،فأشار الانجيلى بسبابته عبر حقل مترامى الأرجاء وقال له « أترى الى تلك البوابة من الأغصان هناك ؟ اذهب اليها واطرقها فيقال لك ماذا تصنع »

ورأيت فى حلمى ان ذلك الرجل شرع يجرى وزوجته وأولاده يصيحون من ورائه يدعونه للعودة بيد أن الرجل واصل الجرى وهو يصيح « الحياة الحياة ! الحياة الأبدية !» وأسرع جاران له فلحقا به واسم أحدهما «عنيد» واسم الآخر «منقاد» وقال له عنيد «لماذا ياصديقى كريستيان تسرع هكذا بالفرار من مدينة الدمار التى فيها ولدت ؟»

فأجابه كريستيان (المسيحى) «لأنى قرأت فى كتابى هذا أن نارا من السماء ستحرقها ، فأناشدكما أيها الجاران الصالحان أن تأتيا معى لننشد النجاة معا » وأسهب فى الشرح والمناشدة فقرر «المنقاد» أن يمضى معه ، أما «العنيد» فعاد الى مدينة الدمار معلنا أنه لن يتخلى عن أصحابه وبذخه ووسائل راحته وترفه انصياعا لرأى رجل مختل العقل مثل كريستيان .

وهكذا سار المسيحى والمنقاد معا من غير أن ينظرا أين وجهتهما ، فاذا بهما وسط السهل المترامى وقد ترديا فى حمأة كثيرة الوحول تدعى

«حمأة القنوط» وجعلا يتخبطان فى ذعر ويتمرغان، وأخذ المسيحى يغوص فى أعماق الحمأة بسبب مايحمله على كتفه من عبء متاعه الثقيل ، وعندئذ قال له المنقاد « أهذه السعادة التى حدثتنى عنها ؟ أقسم ان كتب لى الخروج حيا من هذه الحمأة لتمضين فى رحلتك وحيدا » وبجهد جهيد استطاع الخروج من الحمأة وعاد أدراجه الى مدينة الدمار تاركا المسيحى بمفرده فى حمأة القنوط ، ولكن المسيحى لم ييأس وظل يخوض بحمله الثقيل نحو بوابة الأغصان . ثم رأيت فى حلم أن رجلا أقبل نحوه واسمه «العون» فجذبه من يده فأخرجه الى الأرض الصلدة . واستأنف سيره الى البوابة .ولكن قبل أن يصل اليها ظهر له رجل اسمه « المحنك بأمور الدنيا » وقال له « أين انت ذاهب هكذا وعلى ظهرك هذا العبء الثقيل ؟ » فأجابه المسيحى « انى ذاهب الى تلك البوابة التى تراها عن بعد هناك حيث أجد كما قال لى الانجيلى من يخلصنى من أحمالى الثقيلة » فقال المحنك بأمور الدنيا « ان الانجيلى شخص خطر مشاغب لا تتبع نصحه واسمع ما أقوله لك فأنا أسن منك ، وفى وسعى أن أدلك على طريق سهل للخلاص من أحمالك. أترى تلك القرية الجاثمة هناك فوق هذا الجبل المرتفع ؟ » فأجابه المسيحى « أجل . واذكر ان اسم هذه القرية الأخلاق » فقال المحنك بأمور الدنيا « هذا اسمها حقا . هناك ستجد رجلا حصيفا جدا اسمه «المشروعية» . فان لم تجده فاسأل عن ابنه واسمه «التهذيب» .فكل منهما على مستوى رفيع من البراعة فى مساعدة البشر على التخلص من الأعباء التى تبهظ كواهلهم »

واستقر رأى المسيحى على اتباع نصح السيد المسمى المحنك بأمور الدنيا . واتجه الى الجبل المرتفع وشرع يصعد فيه بمشقة عظيمة . وفيما هو صاعد ظهر له الانجيلى وقال « ألست أنت الرجل الذى وجدته يبكى فى مدينة الدمار فوجهته الى بوابة الأغصان عبر الحقل الواسع ؟ فكيف اذن تنكبت الطريق اليها كل هذه المسافة ؟ » فاحمر وجه المسيحى خجلا وقص عليه كيف أضله عن سواء السبيل ذلك السيد المسمى المحنك بأمور الدنيا. فقال الانجيلى « ان المحنك بأمور الدنيا رجل شرير والسيد المسمى بالمشروعية غشاش ، وابنه المسمى التهذيب منافق . فان أنت أصغيت لثلاثتهم ضيعوا عليك فرصة خلاص نفسك وأضلوك عن سواء السبيل الى الأبد » .

ووجه الانجيلى المسيحى بعد ذلك الاتجاه الصحيح نحو بوابة الأغصان التى كتب فوقها « اقرعوا يفتح لكم » وقرع كريستيان ففتح له شخص وقور اسمه « النية الطيبة » وأدخله وعندئذ سأله كريستيان المعونة فى انزال حمله الثقيل عن كاهله فأشار « النية الطيبة » الى درب ضيق وأمره بالسير فيه وألا يتركه الى أى طريق من الطرق الواسعة المتعرجة المتفرعة عن هذا الدرب وسرعان ما يصل بالمثابرة والدأب الى مكان الخلاص حيث يسقط الحمل عن كاهله من تلقاء نفسه !

وشرع كريستيان يصعد فى الدرب الضيق حتى بلغ مكانا يعلوه صليب ، وعند ذلك الصليب سقط العبء عن كاهل كريستيان وتملكه السرور واستخفه الطرب فقفز ثلاث مرات معلنا عن فرحه ثم استمر فى طريقه وهو يشدو بالغناء ، وعند هبوط الليل وصل الى مكان فخم به قصر باذخ مهيب اسمه «قصر الجمال» واستقبله عند بابه آنسات أربع اسمهن الرحمة والاحتشام والحذر والتقوى

قائلات له « ادخل يامبارك الرب ! فهذا القصر قد أعد خصيصا لمن على شاكلتك من الحجيج »

وجلس كريستيان يتحدث الى الآنسات الحسان ريثما أعدت المائدة للعشاء بكل مالذ وطاب من الأطعمة الدسمة والخمور لممتازة المعتقة . وبعد أن نال كريستيان شبعه وانتعش بدنه قادته الأوانس الى غرفة فسيحة تطل نافذتها الكبيرة على جهة الشرق . واسم هذه الغرفة « حجـرة السلام » وهناك نام كريستيان حتى بزوغ النهار فاستيقظ شاديا مترنما جذلا ، وقادته الأوانس الى خزانة السلاح حيث ألبسنه الدروع لخوض القتال وقدمن اليهمجنا شديدا وسيفا صمصاما فلابد له أنيخوض الكثير من المعارك قبل أن يصل الى مدينة السماء.

وهبط كريستيان الربوة التى أقيم فوقهاقصر الجمال الى واد يسمى « وادى الهوان » حيث تصدى له شيطان خبيث أسمه أبوليون . ومعنى هذا الاسم ملاك الجحيم ، فنشبت بين الاثنينمعركة هائلة غير متكافئة سرعان ما انتهت بجثوم أبوليون فوق صدر كريستيان متأهبا للاجهاز عليه . وفى آخر لحظة استطاعت أصابع كريستيان أن تصل الى سيفه فطعن به ابوليون طعنة مصمية ، فبسط جناحيه السوداوين وتلاشى عن الأنظار . واستعان كريستيان ببعض أوراق الأشجار لمعالجة جراحهثم غادر وادى الهوان فأفضى به السير الى واد آخر اسمه وادى شبح الموت وبه مزالق ومهاو ملآنة بالوحول التى ليس لها قرار وفيما بينها درب ضيق جدا مظلم جدا . وفى منتصف الطريق يجتاز هذا الدرب فوق فوهة الجحيم التى تتصاعد منها النيران بألسنةرهيبة ولها نشيشكدوى الرعد ومنأغوارها تتصاعد أصوات صراخ وبكاء ترتعد لها الفرائص. وعندما برزت الزبانية تريد أن تتخطفه استعان قوة الرب واجتازهم بسلام آمنا وارتدت الزبانية عنه حتى اذا اشرقت الشمس زالت عنه المخاوف والأخطار لأنه استطاع أن يتلمس طريقه فى النور حتى خرج من الوادى فاذا حاج آخر يسبقه بقليل واسمه «المؤمن» فصاحبه فى السير وقص كلمنهما على صاحبه مامر به من الأهوال الى أن بلغ بهما المطاف مدينة الأباطيل التى تقام بها سوق دائمة على مدار السنة اسمها سوق الأباطيل .

ورأيت فى منامى هذين الحاجين يحاولان اجتناب المرور بسوق الأباطيل ، ولكن ذلك كان مستحيلا لأن الطريق الى مدينة السماء تخترق قلب السوق، وقد أحكم هذا التدبير بعلزبول وابوليون ومن على شاكلتهما من الشياطين منذ خمسة آلاف سنة . وقد حرصوا على أن يكون من بين سلع السوق كل ما تشتهيه الأنفس من أراض ومناصب وألقابوشهوات وأطايب .فهناك الخدم والجوارى والذهب والفضة والأحجار الكريمة وجرائم القتل والسرقة والدم المسفوح وألعاب الشعوذة وأفانين الغش والاحتيال وألعاب الحظ وملاعب القرود والأوغاد وكل مايخطر ببال بشر .

وكان طبيعيا جداأن يتعرض الحاجانكريستيان ومؤمن لسخرية كل من فى السوق بأسمالهما البالية وما يحملان على كاهليهما.وساد بسبب ذلك هرج ومرج أفضى الى التضارب فقبضت السلطات على الحاجين بتهمة الاخلال بالنظام وجرى تعذيبهما وتشهيرهما بكل الوسائل المألوفة فى الأنظمة الجائرة كى يكونا أمثولة للجميع،ثم قدما للمحاكمة أمام قاضى القضاة واسمه «مبغض الخير» . وشهد ضدهما سادة ثلاثة من المواطنين الوجهاء اسمهم «الحسد والتطير وتصيد الثناء » . وحكم عليهما بالاعدام ولكن رحمة الله أدركت كريستيان

فاستطاع الفرار من سجنه بمساعدة مواطن ينطوى قلبه سرا على الرحمة وحب الخير ، أما المؤمن فجلد ورجم ثم أحرق حيا . وقد رأيت فى حلمى أن روح هذا الشهيد رفعت بين نفخ الأبواق بأهازيج النصر وحملت مخترقة السحب الى أبواب مدينة السماء. وهكذا بقى كريستيان وحده ليتم رحلته ، ولكن عزيمته لم تفل بموت صديقه ورفيقه ، ولم يلبث الله أن عوضه عن المؤمن بذلك الصديق الذى ساعده على الفرار من سجنه واسمه « الآمل » ووصل الاثنان فى سيرهما بعد قليل الى نهر الحياة والتزما ضفته فى حبور عظيم وشربا من مائه المنعش للأرواح وأكلا من ثمار الأشجار الخضراء القائمة على شاطئه . وفى مرج تكثر به الزنابق استلقيا وناما حتى الصباح ؛ واستيقظا وقد انتعشت روحاهما انتعاشا عظيما وواصلا سيرهما على طول النهر . ولكن بعد قليل صارت الطريق وعرة وانحرفا الى اليسار الى درب معشب وبعد قليل غشيتهما عاصفة وهطل مطر شديد لم يسبق لهما به عهد ثم لاحت لهما «قلعة الشك» وأسرهما صاحبها العملاق واسمه «اليأس» وطرحهما فى جب ثلاثة أيام بغير طعام ولا شراب ثم هبط اليهما وجلدهما جلدا موجعا بسوط من عراجين أشجار الخروب حتى أعطبهما فلم يطيقا حراكا وألقى بهما فى حمأة بقاع الجب وهما لايكادان يرفعان رأسيهما عن مستوى أوحالها .

وأوحت زوجة العملاق اليه أن يقتلهما لولا أن الشمس طلعت ، وذلك العملاق يفقد قوة ذراعيه فى ضوء الشمس فلجأ الى اقناعهما بالانتحار كى يتخلصا من عذابهما فأبيا واستغرقا فى صلاة حارة وعندئذ ألهم كريستيان أن يفتش فى صدره فوجد مفتاحا اسمه «الوعد» يفتح جميع الأبواب المغلقة وهكذا فتح باب الجب ثم باب القلعة فى الليل قرب الفجر . وهكذا كتبت لهما النجاة من قلعة الشك . واهتديا الى طريق أفضى بهما الى ضفاف نهر الحياة مرة أخرى . وصبرا على وعورة الطريق ولم يحيدا عنه حتى وصلا أخيرا الى جبال تسمى «جبال المسرات» فأخذا يصعدان حتى ارتفعت لهما عن بعد حدائق وبساتين وكروم وعيون مياه .وبعد قليل حطا رحالهما هناك فشربا من ماء العيون واغتسلا وأكلا شبعهما من عناقيد تلك الكروم .

وفوق قمة تلك الجبال أبصرا أربعة رعيان مع كل راع منهم قطيع فصعدا اليهم وسألاهم عن الطريق الى مدينة السماء فأخذ الرعاة الأربعة بيديهما وقادوهما الى قمة جبل الصفاء وهو أعلى جبل بين جبال المسرات . ومن فوق هذه القمة استطاع الحاجان أن يبصرا بخفوت وعلى بعد شديد جدا أبواب مدينة السماء المجيدة .

ورأيت فى منامى أيضا الحاجين يهبطان جبال المسرات فى درب ضيق . وبعد قليل انشعب الدرب شعبتين فوقفا برهة حائرين أى طريق يسلكان وعندئذ برز لهما رجل أسود اللون عليه عباءة بيضاء كالثلج وعرض عليهما أن يرشدهما الى الطريق الصحيح . وتبعاه . بيد أنهما بعد قليل وجداه يسلك بهما طريقا متعرجا ثم اذا بهما وقد سقطا فى شراك فأخذا ينوحان . وأخيرا ظهر كائن متألق فاتجه نحوهما وفى يده سوط . فروى له كريستيان وصاحبه الآمل ماحدث من الرجل الأسود الذى غرر بهما ، فقال الكائن المشرق المتألق « انما فعل بكما هذا المتملق الغرور الذى يبدو فى صورة ملك ليغر الناس » ثم شق الشراك وأطلق سراح الحاجين وأمرهما أن ينطرحا على الأرض ثم عاقبهما بسوطه حتى يحذرا من اتباع

نصح المتملقين الغرورين . وبعد استيفاء عقابهما شكراه على صنيعه ورقته . ثم انطلقا فى الطريق الصحيح متهللين يتغنيان بالأناشيد والابتهالات .

وبعد عدد قليل من العقبات الصغيرة اقترب الحاجان من مدينة السماء . وكانت الرحلة قد نالت منقواهما وهما ينظران الىالبيوت المشيدة باللآلىء والأحجار الكريمة ، والى الشوارع المرصوفة بالذهب . كل ذلك عن بعد . فلا عجب أن تملكهما الدوار من شدة الشوق والاشتهاء.حتى اذا تحاملا على نفسيهما ووصلا أمام البوابة العظمى للمدينة ألفيا نهرا عميقا جدا يفصلهما عنها وليس ثمة قنطرةأو معبر .فسأل كريستيان الكائناتالنورانية المتألقة المنتشرة فى الجو عن كيفية الوصول الى البوابة فقالوا له لابد من خوض النهر .فسألهم كريستيان «وهل النهر عميق جدا ؟» فقالت الملائكة ستجده عميقا أو ضحلا على حسب عمق أوضحالة ايمانك بملك مدينتنا .

وعندئذ نزل الحاجان النهر . فلم يلبث كريستيان أن صاح مستغيثا لأن الأمواج أخذت تغطى رأسه . ولكن زميله الآمل قال « ابشرياأخى فانى أحس القاع تحت قدمى ! » وأطبقت ظلمة عظيمة وفزع على كريستيان ولم يعد يرى شيئا وكانيوقن أنه سيهلكفى النهرولن يصلالى المدينة السماوية . وغشى عليه ولما أفاق وجد نفسه على الضفة الأخرى وزميله الآمل يعنى به .

ورأيت فى منامى أن المدينة قائمة فوق تل مرتفع ، بيد أن الحاجين صعداه بسهولة ويسر لأنهما كانا قد غادرا ثيابهما الفانية وأحمالهما فى النهر .

وقرب البوابة خرجت كتيبة من الملائكة لاستقبالهما ومعهم النافخون فى الأبواق فترددت السماوات بأصوات التهليل وأنغام التأهيل ، ثم فتحت البوابة على مصراعيها ودخلها الحاجان حيث نعما بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٤ ـ نماذج مختارة :

* قال كريستيان : « اليك أسوق القول يازوجتى العزيزة ، واليكم أسوقه أيضا يا أبنائى. فأنا فى كرب شديد بسبب عبء يثقل على كاهلى، ثم أنا قد بلغنى من مصدر ثقة أن مدينتنا هذه ستصب عليها نار من السماء تحرقها وتهلك بها نفسى ونفسك يازوجتى وأنفسكم يا أطفالى الأعزاء مالم يتيسر لنا مهرب نسلك به طريق الخلاص » .

فلما سمع أهله منه هذا الكلام عجبوا عجبا عظيما ، لا لأنهم اعتقدوا ماقاله لهم حقا بل لأنهم ظنوا خللا ألم برأسه . ولما كان الليل قد أزف فقد خامرهم الأمل أن النعاس سوف يثيبه الى رشده ، وأسرعوا بحمله على الايواء لفراشه . بيد أن الليل لم يكن أقل حفولا بالقلق والاضطراب من سحابة النهار ، فلم يقضه فى النوم بل قضاه فى اطلاق الزفرات وذرف العبرات ، فلما طلع النهار أعادعليهم القول فى مزيد من التأكيد والالحاح وزاد لهم فى النكير والنذير،الا أنهم زادوا صلابة وعنادا،وخطر ببالهم أن يقضوا على اختلال عقله بالجفوة وسوء المعاملة ، فتارة يحقرونه وتارة يستهزئون به ،وتارة يتجاهلون أمره ويجعلون أقواله دبر آذانهم . فلم يجد له ملاذا غير مخدعه يأوى اليه ليصلى منأجلهم شفيقاعليهم متحسرا علىبؤسه وسوء طالعه. وكان فى بعض الأحيان يخرج للسير بمفرده بين الحقول،

يقرأ أحيانا ويصلى أحيانا أخرى . ومضت بضعة أيام على هذا المنوال .

ورأيته فيما يرى النائم يتمشى فى الحقول قارئا فى كتابه وقد استبدت بعقله الحيرة والأسى . ثم قطع القراءة وصاح « ماذا أصنع لأنال الخلاص ؟» ثم أخذ ينظر فى هذه الوجهة وتلك الوجهة كمن يهم ان يولى الأدبار . بيد انه ظل واقفا حيث كان لأنه لايدرى أى طريق يسلك فيما يزمعه من الفرار وعندئذ أبصرت رجلا يدعى الانجيلى يقبل عليه ويسأله لماذا يصرخ وماذا يبكيه ؟ فأجابه قائلا « لقد قرأت فى هذا الكتاب الذى بيدى ياسيدى اننى مقضى على بالموت . ثم انى بعد ذلك لمنشور لألقى حسابى فى يوم عظيم . وانى أرانى لاتطيب نفسى بالموت ولست على أهبة للحساب » .

* وسأل الانجيلى كريستيان لماذا لاتطيب نفسك بالموت وأنت ترى هذه الحياة حافلة بألوان الشرور ؟ فأجابه : « ذلك انى أخشى أن يجعلنى هذا الوقر الذى أحمله على كاهلى أغوص الى أعمق من قاع القبر وأما يوم الحساب فالرأى فيه أننى مادمت غير متأهب لدخول السجن فلست بالأحرى متأهبا لمحاكمة تفضى بى الى الاعدام . فلا عجب أن تجعلنى هذه الأفكار ومثيلاتها أجهش بالبكاء » عندئذ قال الانجيلى « ان كان هذا شأنك ففيم وقوفك هكذا ؟ » فأجابه كريستيان « ذلك أنى لا أدرى أيان أمضى » فأعطاه الانجيلى درجا ملفوفا من الورق وجد مكتوبا فيه « فروا من الغضب المزمع ان يأتى » . فلما قرأ كريستيان هذا الكلام تفحص الانجيلى بنظره وسأله « ولكن الى أين ينبغى أن يكون الفرار ؟» فأشار الانجيلى بأصبعه عبر حقل فسيح جدا وقال « أترى الى تلك البوابة المصنوعة من الأغصان ؟ » فأجابه «لا» وعندئذ سأله الانجيلى « أترى ذلك النور المتألق هناك بعيدا ؟ » فقال كريستيان انه يراه . فأوصاه الانجيلى ان يجعل ذلك النور نصب عينيه وان يصعد فى طريقه صوبه ، وبذلك تتجلى البوابة لعينيه ومتى قرعها قيل له الى أين يمضى وماذا يصنع . وعلى الأثر رأيت فى حلمى ذلك الرجل كريستيان يشرع فى الجرى . ولم يكد يبعد عن باب داره حتى فطنت زوجته وأولاده لصنيعه فشرعوا يتصايحون من خلفه يستحثونه على العودة بيد أن الرجل سد أذنيه باصبعه وجد فى الجرى لايلوى على شىء .

* وفى بعض الطريق لحق به من جيرانه رجلان اسم أحدهما العنيد واسم الآخر المنقاد . وعبثا حاولا ارجاعه عن عزمه فارتد العنيد الى المدينة واقتنع المنقاد برأى كريستيان ومضى معه . وبعد مسافة طويلة اعترض المرج الذى يسيران فيه مستنقع متناثر كثير الوحول يسمى حمأة القنوط. وهناك تقلب الاثنان وتمرغا بين الوحول على غير هدى وكستهما الأوساخ ، وبدأ كريستيان يغوص بشدة لثقل مايحمله على ظهره من وقر فقال له المنقاد « أهذه السعادة التى كنت تحدثنى عنها منذ حين ؟ ان كان هذا سوء مآلنا ونحن فى بداية الطريق فما الذى ينتظرنا فى البقية الباقية حتى ختام رحلتنا ؟ أقسم ان نجوت بجلدى من هذه الحمأة لتمضين وحدك الى موطنك السعيد الموعود من دونى !» ثم ناضل مرة أو مرتين فتخلص من الحمأة التى سقط فيها ثم مضى فى سبيله فلم تقع عليه عين كريستيان بعد ذلك ، وبقى كريستيان وحده يخوض الحمأة متجها الى الجانب البعيد عن بيته صوب بوابة الأغصان، بيد أن الوقر الذى على كاهله عاقه من الخروج الى أن أبصرت فى

منامى رجلا يقبل عليه واسمه «العون» ويسأله ماذا يصنع هناك .

* وفيما كان كريستيان سائرا وحده أبصر شخصا قادما من بعد عبر الحقل ليلقاه . وكان اسم ذلك السيد « المحنك فى أمور الدنيا » ، ويقطن بلدة تسمى «مدينة الجسد» وهى مدينة عظيمة جدا .. وأخذ هذا السيد يجاذب كريستيان الحديث فسأله الى أين هو ذاهب بحمله الثقيل فأجابه «انى ماض ياسيدى الى تلك البوابة التى أراها هناك أمامى حيث قيل لى سأجد من يدلنى على طريقة للتخلص من حملى الثقيل » فسأله الرجل « أليست لك زوجة وبنون ؟ » فأجابه كريستيان «بلى ! ولكن هذا الوقر الذى أحمله على ظهرى يبهظنى بحيث لا أستطيع أن أجد فيهم مسرةلقلبى كذى قبل . حتى ليخيل الى أنه ليس لى زوجة ولا بنون » فسأله الرجل هل يصغى لنصحه ان بذله له ، فرحب كريستيان بالنصح الطيب الصالح لأنه بحاجة اليه . وعندئذ قال له الرجل « انى ناصحك اذن ان تتخلص بأقصى سرعة من حملك ، فلن يهنأ لك بال حتى تفعل ذلك » فقال كريستيان « هذا ما أنشده ولكنى لا أستطيع أن أضعه عن كاهلى بنفسى ، وليس فى وطنى أحد يستطيع ذلك . وهذا سبب رحيلى طلبا للخلاص من هذا الوقر بعد أن نصحنى بذلك شخص فاضل اسمه الانجيلى »

* وصاح «الأمل» (هوبفول) يشجع كريستيان : «أبشر يا أخى فان المسيح سيمد لك يد العون » وعندئذ صاح كريستيان بصوت مرتفع « هاهو يتراءى لى مرة أخرى ! ويخبرنى أنه سيكون معى عندما أمر وسط اللجة مخترقا الانهار الطامية فلا تستطيع أن تجرفنى أوتغرقنى » وبذلك سرت فيهما الشجاعة ، وسكن عدوهما الجياش كأنه الصخر الى أن تم لهما عبور لجته الى العدوة الأخرى ، وسرعان ما وجد كريستيان أرضا يقف فوقها بقدميه ، وصار بقية النهر الجبار ماء ضحلا وهكذا تمت لهما النجاة فى بلوغ الضفة البعيدة للنهر وهناك أبصرا الرجلين الوضيئين واقفين فى انتظارهما ، وبمجرد خروج الآمل وكريستيان من الماء الطامى الى البر تقدم الرجلان الوضيئان لتحيتهما قائلين « نحن روحان مرشدان بعثنا لارشاد من سيرثون الخلاص » وهكذا تقدم الحاجان صوب البوابة . والآن ينبغى أن تذكر أيها القارىء أن المدينة قائمة فوق تل مرتفع وعر ، بيد أن الحاجين أخذا يصعدان ذلك التل فى سهولة ويسر ، لأن الرجلين الوضيئين كانا معهما يقودانهما من ذراعيهما . وكان الحاجان أيضا قد غادرا ثيابهما الفانية خلفهما فى لجة النهر : وكانا قد دخلا اللجة بهذه الثياب بيد أنهما خرجا منها بدونها . ولذا مضيا مصعدين فى التل بكثير من الخفة والسرعة، مع أن الآساس التى أقيمت عليها المدينة أشد سموقا وشموخا من السحاب . وفى صعودهما ذاك مرا بمناطق ذات هواء خفيف وهما يتحدثان فى مسيرهما أعذب الحديث ، وقد استخفهما الطرب لما كتب لهما من عبور النهر العظيم سالمين ، ولما قيض لهما من صحبة هذين الروحين المرشدين المجيدين .

* أما حديثهما الذى تجاذباه مع الرجلين الوضيئين الروحين المرشدين فكان عن أمجاد ذلك المكان الذى يقصدان اليه . وقد أخبراهماأن جمال ذلك المكان وبهاءه مما لايقدر الانسان على التعبير عنه . فثمت مدينة القدس السماويةوالجبل الأشم وجحافل الملائكة التى لاتحصى وأرواح

البشر الصالحين وقد أضفى عليهم الكمال . وقالا لهما أيضا « انكما فى سبيلكما الآن الى فردوس الرب أو جنة الله حيث تبصران شجرة الحياة وتأكلان من ثمارها التى لاينالها ذبول . وحينما تصيران الى هناك ستقدم اليكما ثياب بيض وسيكون سيركما وحديثكما كل يوم مع خيار الصالحين على مدى الأبدية التى ليس لها انقضاء . هناك لن تعرفا بعد ذلك شيئا من تلك الامور التى عرفتماها عندما كنتما فى الملأ الأدنى على وجه الأرض ، من قبيل الأحزان والأمراض والمحن والموت . فكل هذه الأمور قد مضت الآن وانقضت . فأنتما الآن ذاهبان الى أحضان ابراهيم واسحق ويعقوب وسائر الأنبياء والصالحين الذين استنقذهم الرب اليه ليجنبهم الشر المزمع أن يحيق بالأرض . وهم الآن على سرر متكئين ، وكل واحد منهم يرفل فى بره وصلاحه »

✻ وسألهما الحاجان « ماذا ينبغى أن نصنع فى ذلك الموضع المقدس .» فجاءهما الجواب هكذا « هناك ينبغى أن تتلقيا الراحة التى تمسح كل نصبكما وتنعما بسرور كفاء أحزانكما ، وتحصدا ماكنتما قد بذرتما ، وما جزاء ذلك الا ثمرات مستطابة استحققتماها بما أسلفتما من صلوات ودموع وعذاب ، أجل فى ذلك المكان المقدس ينبغى أن تكون لكما تيجان من ذهب .. وهناك سوف تخدمان المولى على الدوام بتقديم التحميد والتسبيح والهتاف بآيات الشكر . ولن تشعرا بتعب من جراء ذلك كما كنتما تجدان المشقة وأنتما على وجه الدنيا لما فى بدنكما وابدان البشر جميعا من ضعف . هناك أيها الصالحان سيطيب لعينيكما أن تبصرا ولأذنيكما أن تسمعا .. هناك ستلتقيان بأصحابكما مرة أخرى ممن سبقوكما ، وتحظيان معهم بسرور استقبال كل من يتبعكما من الاعزاء الى الموضع الأقدس..وعندما يدوى النفير بين أطباق السحاب وعلى أجنحة الرياح ويأتى مجد الله ويستوى على العرش للدينونة ستجلسان بقربه وتحضران دينونة كل فاعلى الشر والجور ، فالأشرار والجائرون أعداء الله وأعداؤكما . وفى ختام الحساب ستعودان الى المدينة السماوية ولا تنقضى صحبتكما للمجد الالهى أبدا » .

✻ وفيما هما يدنوان من البوابة العظمى أبصرا كوكبة من الجيش السماوى تقبل نحوهما للقائهما وأفرادها يصيحون بهتاف عظيم « مباركون أولئك الذين يدعون الى مائدة العشاء المجيد » وأقبل على الأثر للقائهما عدد عديد من نافخى الأبواق فى اكسية بيضاء وهالات وضاءة وأخذوا يرسلون بأبواقهم أصواتا عالية عالية متناسقة عذبة ترددت أصداؤها بين جنبات السماء ، تحية لكريستيان ورفيقه ، ثم أحدقوا بهما من كل جهة وتقدمهما نفر منهم ومن خلفهما نفر آخر كأنما يقومون على حراستهما ، ولم يكفوا عن النفخ فى أبواقهم السماوية بأصوات جبارة رخيمة تكاد تتصدع لشدتها الجبال ، حتى لقد خيل اليهما أن أهل السماوات أجمعين قد خفوا للقائهما .

✻ وأخيرا هاهى المدينة السماوية نفسها أمام بصريهما ، وأخذت جميع نواقيسها تدق فى وقت واحد ترحيبا بهما . وأى لسان أو قلم يسمو الى التعبير عن فرحهما المجيد ؟! لقد استبدت بهما نشوة لا توصف عندما وصل ركابهما الحافل الى البوابة العظمى .. واذا بهذه العبارة مكتوبة فوقها بحروف من ذهب « طوبى لمن ينفذون وصايا الرب لأنهم من شجرة الحياة يأكلون ومن البوابة العظمى يدخلون الى رحاب مدينة السماء » وعندئذ رأيت

فى حلمى أن الرجلين الوضيئين أمرا الحاجين بالنداء أمام البوابة الموصدة ، فصدعا بالأمر ، واذا من فوق البوابة رهط من الأنبياء والصالحين فيهم موسى وايليا وأخنوخ يطلون ، وقيل لهم : «هاهما الحاجان القادمان من مدينة الدمار يحدوهما الحب العظيم لملك هذا الموضع الأقدس » . واختفى الرهط المطل من أعلى برهة ثم عادوا يحملون الأمر الى الموكلين بالبوابة أن يفتحوها كى يدخل الباران الصالحان اللذان يحفظان وصايا الرب بصدق

وعندئذ رأيت فى منامى أن الرجلين دخلا من البوابة . واذا بهما فى حال دخولهما وقد انتابهما تحول واكتسى كيانهما أردية لها بريق كالذهب الوهاج ، وقد خف للقائهما سرب من لابسى التيجان وعازفى المزاهر وقدموا اليهما تاجين لزينة رأسيهما مزهرين لتسبيح الرب بهما . وسمعت فى منامى سائر أجراس المدينة السماوية تدق معلنة عن الفرح بقدوم البارين ، والهتاف يتعالى من الملائكة «أدخلا الى نعيم ربكما آمنين » !